وفي يناير سنة 1922 م بينما سعد زغلول منفي بجزيرة سيشل اجتمعت السيدات المصريات في جلسة فوق العادة، وقررن إعلان المقاطعة العامة لكل ما هو إنجليزي من بضائع وأشخاص سواء أكانوا تجارًا أم موظفين أو أطباءً أو صيادلة وفي الوقت نفسه بدأت الدعوة إلى الصناعات الوطنية وتشجيعها .

ولم يقتصر طريق الكفاح الذي سلكته المرأة على ما بذلته من مجهودات لتغيير مركزها في المجتمع على أرض مصر فقط، ولكنها كانت من الذكاء بحيث نقلت خطوات تقدمها إلى الخارج لتعطي الشكل الصادق والواضح عن الكيان الجديد للمرأة المصرية، ولتقضي على الصورة القائمة لها والمثبتة في الأذهان والأوربية هذا من ناحية ورغبة منها في الحصول علي المزيد من المكاسب الخارجية لتحيطها بالثقة .

إذ يمكن القول إن المشاركة الاجتماعية التي أقدمت عليها المرأة وطرقت مجالها وعملت فيها بجد وإخلاص واضعة أمامها حتمية تحقيق أهدافها مثلت دورًا كبيرًا في عجلة التطور التي صاحبها التغيير في كيان ووضع المرأة في المجتمع.

مواكبة المرأة لموكب التقدم

وعرفت مكانة المرأة المصرية خارج مصر منذ بدء المفاوضات مع إنجلترا أو مثلث السيدات اللاتي رفضن المفاوضات وجودًا في الاجتماعات، وكان لأم المصريين صفية زغلول نصيب كبير، وتحدثت الصحافة الأجنبية عامة والإنجليزية خاصة عن زينب الوكيل زوجة مصطفى النحاس، ونالت زوجات محمود العقاد ومكرم عبيد وكريمتي حمدي سيف النصر بإعجاب المجتمع الأوروبي وأعطيه صورة للمرأة المتطورة حتى لقد أعجب الساسة الإنجليز بما بدا على المصريات من ثقافة .

ويمكن القول بأن المشاركة الاجتماعية التي أقدمت عليها المرأة وطرقت مجالاتها وعمت فيها بجد وإخلاص واضحة أمامها حتمية تحقيق أهدافها مثلت دورًا مهمًا في عملية التطور التي صاحبها التغيير في كيان ووضع المرأة في المجتمع .

ومع ثورة 1919 م وخروج المرأة للمشاركة الوطنية تفجرت مسألة عمل المرأة وارتبطت بالتعليم؛ حيث سار الطرفان جنبًا إلى جنب يكافحان من أجل إثبات وجودهما، وتردد السؤال ماذا تفعله المرأة المتعلمة، واستنتج ذلك ظهور الدعوة إلى العمل فصدر أول كتاب عن المرأة المتعلمة، وصدر أول كتاب عن المرأة والعمل لنبوية موسى صاحبة الدعوة لتحرير المرأة .. وتولت أجهزة الإعلام عرض القضية من مؤيد وهو الاتجاه الغالب ومعارض.

وهكذا يبين أن التغير الذي طرأ على مركز المرأة أصبح واضحًا، وأنها نجحت في تحقيق ما سعت إليه وكان هناك بعض التغيرات فهذا حال أي تغير إذ لا بد من أن تصحبه شوائب يمكن لها أن تزول مع زيادة قدر الثقافة أما المرأة الريفية فلم تخضع لتغيير جوهري في حياتها فهي تتمتع بحريتها في سفورها وخروجها واختلاطها وعملها في الزراعة وانطلاقها كل ذلك أعطاها شخصية متميزة بعدت فيها عن التعقيدات التي قابلت المرأة في المدينة.

ولم يقتصر طريق الكفاح الذي سلكته المرأة على ما بذلته من مجهودات لتغيير مركزها في المجتمع على أرض مصر فقط ولكنها كانت من الذكاء بحيث نقلت خطوات تقدمها إلى الخارج لتعطي الشكل الصادق والواضح عن الكيان الجديد للمرأة المصرية، ولتقضي على الصورة القائمة لها والمثبتة في الأذهان الأوربية هذا من ناحية ورغبة منها في الحصول على المزيد من المكاسب الخارجية لتعطيها الثقة . في المؤتمرات النسائية التقت نساء مصر بنساء العالم ونساء البلدان المستعمرة، وشهدت تلك نداءات عدة من نساء العالم لنضال شعبنا، كما لعبت محلية

المصرية دورًا بارزًا في توضيح كفاح المرأة العصرية خاصة والشعب المصري عامة، وكانت روابط المرأة المصرية قوية بنساء الهند .بالذات لنضال الشعبين خلال هذه الفترة ولهذا فإن غاندي قابل السيدة سيزا مندوبة الاتحاد النسائي، ووجه رسالة إلى نساء مصر أثناء مروره ببورسعيد التي منعت السلطات الإنجليزية نزوله بها يقول في رسالته المؤرخة بـ 17) ديسمبر 1931 م (إنه أمل أن تلعب الأخوات المصريات نفس الدور الذي تلعبه أختهم الهندية في معركة التحرر كل في بلده؛ لأني أرفض أن المقاومة السلبية هي المهمة الخاصة بالمرأة .

ولما هب الشعب المصري لدحر المعتدين عن أمراض آبائنا وأجدادنا وليحمي بورسعيد سنة 1956 م أعيد تكوين اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية بعد أن توقف نشاطها منذ الانقلاب الرجعي الذي تلي حريق القاهرة في سنة 26يناير سنة1952 م وشهدت بلادنا المرأة تحمل السلاح جنبًا إلى جنب بجوار الرجل فضلًا عن العدد الهائل من المتطوعات لأعمال التمريض والخدمة، ولم يكن هذا في المدينة فحسب بل تعدى إلى أعمال الريف وخصوصًا ما قرب منها للقتال.

وسجل دستور1956 م حقوق المرأة السياسية للمرة الأولى في تاريخ ميلادنا كما يتضمن هذا الدستور بعض المكاسب الاجتماعية الأخرى .

وواصلت السيدة سيزا نبراوي نشاطها في مؤتمر بيروت النسائي في أبريل1946 م ويكفي أن أذكر أن مجلة وزارة الخارجية قد نشرت خطبتها في ذلك اليوم وإلى هذه الجهود يضاف الدور الذي تلعبه المرأة الجزائرية في معركة التحرير والدور التضامني الرائع، الذي قامت به النساء العربية معهن والذي كان مؤتمر مارس1958 م بالقاهرة مظاهرة .وفي نفس العام أصدرت السيدة سيزا نبراوي كتاب المرأة وفي معركة الجزائر والاتحاد النسائي الديمقراطي لنصرة شعب الجزائر .

و للمرة الأولى في تاريخنا ينعقد بين 23 - 27 نوفمبر1993 م تحت رئاسة الدكتورة حكمت أبو زيد مؤتمر لمناقشة مشاكل المرأة العاملة .لقد كان هذا المؤتمر ظاهرة جديدة على مجتمعنا رغم الملاحظات المهمة السلبية الخاصة بطريقة الإعداد له أو تكوينه أو نشاطه وتوصياته أو مستوى متابعة توصياته .

ولقد كان للحركات التحريرية للمرأة والمناداة بتعليم البنات وتحرير المرأة دور كبير فبرزت نساء لامعات منهن السيدة عائشة راتب التي أصبحت وزيرة الشئون الاجتماعية 1972 م ونذكر الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ والدكتورة لطيفة الزيات، ونذكر في المجال الصحفي أمينة السعيد وإنجي أفلاطون و في التعليم كريمة السعيد، وفي المسرح سميحة أيوب وفي الموسيقي رتيبة الحنفي وفي مجال الفن فاتن حمامة وفي مجال الغناء أم كلثوم كوكب الشرق التي لعبت دورًا كبيرًا في الفن والسياسة .

ولعل اكتشاف تمثال رأس نفرتيتي في تل العمارنة في نهاية ذلك العام في ديسمبر سنة1913 م أعاد للذاكرة المصرية القديمة، وبعد أسابيع قليلة توفيت الأديبة المصرية الكبيرة زينب فواز عن عمر 54 سنة وينعاها الكثير بعبارات التقدير والاحترام .

ومن المجلات النسائية التي أصدرت في فترة النشاط النسائي، وهي أول مجلات نسائية تصدر مجلة فتاة الغد وأنا وأنت ومجلة بنت النيل وحواء وفتيات مصر ومجلة فتاة الشرق والتي أنشأتها السيدة لبيبة هاشم، وقد توقفت هذه المجلة بعد هجرتها إلي أمريكا سنة 1939 م .

ومن المجلات النسائية التي لعبت دورًا في المجتمع وخصوصًا قضية فلسطين مجلة السيدات والتي أنشأتها الآنسة روزا أنطون السورية الأصل بمدينة الإسكندرية، وكانت مدرسة ثم ناظرة بمدرسة البنات الأمريكية برمل الإسكندرية.

"إن أفلاطون بمنطق فلسفته المثالي الداعي إلى التحرر من الجسد وشهوته كان أقرب إلى اعتبار المرأة رمزًا للشهوة، ومن ثم يمكن أن ننظر إلى موقفه من المرأة فيما يرى بعض المحللين على أنه كان أقرب إلى موقف الكاره لها من موقف المحب، الذي كان يعنيه حقًا تحريرها والدفاع عن حريتها في الحرية والمساواة .

وعلى الرغم من كراهية أفلاطون للعواطف الأنثوية وما قد يترتب عليها من اشتهاء وانحرافات فإنه كان يعي أنه إذا ما امتلكت المرأة الإرادة والتصميم وإن وجدت التشجيع والتوجيه من إدارة الدولة يمكن أن توجه كل اهتماماتها إلى خدمة مجتمعها بصورة فعالة كل ما حاوله أفلاطون في الجمهورية والقوانين هو البحث عن الصيغة المثلي لتوظيف إمكانيات المرأة لخدمة المجتمع .

كان لحركات التحرير التي هبت في العالم كله وزحفت إلى مصر دور كبير في تغيير الوضع الاجتماعي للمرأة المصرية فقد ترتب عليه تحرير المرأة من سيطرة الرجل وسلطان التقاليد والحرمان السياسي، الذي كان مرفوضًا تمامًا وأيضًا تشغيلها في شتى المهن، التي كانت حكرًا على الرجل فقط .وقد حصلت المرأة على 30 مقعدًا في مجلس الشعب، وكان هناك انتظار بعد ذلك لتعديل قانون الأحوال الشخصية .

وزاد أيضًا إقبال الفتيات على التعليم وفهم قيمة التعليم للبنت حتى وصل إلى قمته في أيامنا الحالية تظهر تميز البنات في كل مجالات العلوم، ولكن هذا الأمر لم يأتِ من فراغ فقد كان نتيجة جهد وعرق وصبر ومثابرة من سيدات دافعن عن قضايا المرأة، وسعين إلى إخراجها من جب الركود لكي تتحرك مع حركة الزمن من أجل إصلاح المجتمع.

والنظرة السريعة إلى التطور التاريخي لوضع المرأة في المجتمع الإنساني تكشف عن أنها قد عانت قديمًا معاناة كبيرة؛ حيث كان ينظر إليها كأنها أدنى من الرجل، وأنها تابعة له وبذلك كانت تحرم من كثير من الحقوق فكان يحظر عليها أن تتصرف في مالها، وأن تعبر عن إرادتها حتى في أخص ما يخصها وهو اختيار شريك الحياة .

إن الفائدة الثانية التي نتوقعها من تحرير المرأة وفتح أبواب العلم وتشجيعها بنفس المكافأة التي تدفع للرجل هي مضاعفة الملكات العقلية المتاحة لخدمة البشر، وهذه الإضافة الكبيرة للقدرة الذهنية للجنس البشري ولمقدار القدرات العقلية المتاحة لإدارة الأمور إدارة طيبة سوف تتحقق عن طريق تربية النساء تربية أفضل

ومع التطور الرهيب في حياة المرأة وكيانها نجد أن القانون الفرنسي في المادة 218 ينص على أنه " لا تستطيع المرأة أن تهب ولا أن تبيع ولا أن تقتني سواء أكان ذلك مجانًا أم كان عليها دين ما من غير مشاركة زوجها في العقد و بموافقة كتابية .